المواهب اللدنية

بالمنح المحمدية

تأليف

العلامة أحمد بن محمد القسطلاني

(٨٥١ - ٩٢٣هـ)

الجزء الأول

تحقيق

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)

دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٦٣٧

عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥

[قصة الغرانيق]

[ملخص القصة]

وقدم نفر من مهاجرة الحبشة، حين قرأ ﷺ ﴿والنجم إذا هوى﴾ حتى بلغ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان في أمنيته، أي في تلاوته: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما ختم السورة سجد ﷺ وسجد معه المشركون، لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير، وفشا ذلك في الناس، وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة، ومن بها من المسلمين، عثمان بن مظعون وأصحابه. وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا معه ﷺ، وقد أمن المسلمون بمكة، فأقبلوا سراعاً من الحبشة(١).

(١) لا خلاف بين العلماء على بطلان هذه القصة ومعارضتها للعقيدة الإسلامية. ولذا صرح أكثرهم ببطلانها ووضعها.

وذهب بعضهم إلى وجود أصل لها بناء على تعدد الأسانيد، ثم ذهبوا يلتمسون تأويلاتها.. على الرغم من ضعف تلك الأسانيد وانقاطعها. وعلى الرغم من اتفاقهم مع الفريق الأول على بطلان متنها.

وقد قام المحقق بدراستها دراسة وافيه وتوصل إلى إبطالها بدليل غير أدلة مناقشة المتن والسند، وهو أن سورة النجم ـ التي تزعم الروايات أن القصة حدثت أثناء تلاوتها ـ لم تكن نزلت في ذلك الوقت. وإنما نزلت بعد حادثة الإسراء، أي بعد خمس سنين من حادثة الهجرة الأولى إلى الحبشة.

وهذا دليل قاطع على بطلانها لم أر من ذكره من قبل. وانظر تفصيل ذلك =

[معنى: الغرانيق]

والغرانيق في الأصل: الذكور من طير الماء، واحدها: غرنوق وغرنيق، سمي به لبياضه. وقيل: هو الكركي.

والغرنوق أيضاً: الشاب الأبيض الناعم.

وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله، وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التي تعلوا في السماء وترتفع.

[توهم المشركين]

ولما تبين للمشركين عدم ذلك، رجعوا إلى أشد ما كانوا عليه.

[القائلون ببطلان القصة]

● وقد تكلم القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في «الشفاء» على هذه القصة وتوهين أصلها بما يشفي ويكفي، لكن تعقب في بعضه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

● وقال الإمام فخر الدين الرازي ـ مما لخصته من تفسيره ـ هذه القصة باطلة موضوعة، لا يجوز القول بها. قال الله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾[2].

= في كتابنا «أضواء على دراسة السيرة» وهو من مطبوعات المكتب الاسلامي.

أما رجوع المهاجرين فيرجع إلى خبر كاذب روجته قريش بأن هدنة قامت بينهم وبين الرسول ﷺ [م].

(١) سورة النجم. الآية ٣.

(٢) سورة الأعلى. الآية ٦.

● وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون.

وأيضاً: فقد روى البخاري في صحيحه أنه ﷺ قرأ سورة النجم وسجد، وسجد المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق[١]. بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة، وليس فيها ألبتة حديث الغرانيق.

ولا شك أن من جوز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان، ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك. ويبطل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾[٢] فإنه لا فرق في الفعل بين النقصان في الوحي وبين الزيادة فيه.

فبهذه الوجوه، عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. وقد قيل: إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها. انتهى.

[تخريج القصة]

وليس كذلك. بل لها أصل.

فقد خرجها: ابن أبي حاتم[٣]، والطبري، وابن المنذر[٤]، من

(١) رواه البخاري برقم ٤٨٦٢.
(٢) سورة المائدة. الآية ٦٧.
(٣) الحافظ أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد التميمي الرازي، صاحب التصانيف الكثيرة، الثقة، كان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وقد ناهز التسعين.
(٤) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، نزيل مكة، صاحب التصانيف، =

طرق عن شعبة[1] عن ابن بشر[2]، عن سعيد بن جبير.

وكذا ابن مردويه، والبزار، وابن إسحاق في السيرة، وموسى بن عقبة[3] في المغازي[4]، وأبو معشر[5] في السيرة.

كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره، لكن قال: إن طرقها كلها مرسلة وأنه لم يرها مسندة من وجه صحيح. وهذا / متعقب بما سيأتي: ٢٩/

وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الإسلام الحافظ[6] أبو الفضل العسقلاني فقال: أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق

= الحافظ، كان غاية في معرفة الخلاف والدليل، فقيهاً مجتهداً لا يقلد أحداً، مات سنة تسع وثلاثمائة.

(١) شعبة بن الحجاج الواسطي، أمير المؤمنين في الحديث، كان من سادات زمانه حفظاً وإتقاناً، وورعاً وفضلاً. قال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. ولد سنة اثنتين وثمانين ومات بالبصرة سنة ستين ومئة.

(٢) جعفر بن أبي وحشية - اسمه إياس - الواسطي، الثقة من رجال الصحيح، توفي سنة أربع وعشرين ومائة.

(٣) ابن أبي عياش القرشي - مولاهم - المدني، التابعي الصغير، الثبت الحافظ الفقيه، توفي سنة إحدى وأربعين ومائة.

(٤) قال مالك: عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي، وقال الشافعي: ليس في المغازي أصح من كتاب موسى، مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره.

(٥) نجيح بن عبد الرحمن الهاشمي، مولاهم، قال أحمد: صدوق لا يقيم الإسناد، وقال ابن معين: ليس بالقوي، وابن عدي: يكتب حديثه مع ضعفه. مات سنة سبعين ومائة.

(٦) في (ط، ش): والحافظ، وفي (ب، د): والحفاظ.

عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة والنجم، فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته**﴾[١] الآية.

وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خِالد عن شعبة فقال: في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فيما أحسب، ثم ساق الحديث. وقال البزار: لا يروي متصلاً إلا بهذا الإسناد. وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.

قال: وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح[٢] عن ابن عباس. انتهى، والكلبي متروك[٣] لا يعتمد عليه.

وكذا أخرجه النحاس[٤] بسند آخر فيه الواقدي.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٢) باذان، عن مولاته أم هانىء وعلي، وعنه السدي وغيره. أخرج له أصحاب السنن، قال أبو حاتم لا يحتج به، وفي التقريب: إنه مقبول.

(٣) محمد بن السائب، قال ابن الجوزي: إنه من كبار الوضاعين. وقال ابن حبان: يروي الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت الأرض أفلاذ كبدها، لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟! مات سنة ست وأربعين ومائة.

(٤) الإمام الحافظ الصدوق: أبو العباس، أحمد بن محمد بن عيسى المصري، ذو الرحلة الواسعة والمعرفة الجيدة، روى عنه الحاكم. مات سنة ست وسبعين وثلاثمائة، عن خمس وثمانين سنة.

وذكرها ابن إسحاق في السيرة مطولاً، وأسندها عن محمد بن كعب، وكذلك عن موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب الزهري.

وكذا أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي[(١)] ومحمد بن قيس وأورده من طريق الطبري.

وأورده ابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدي.

ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب[(٢)] عن يحيى بن كثير، عن الكلبي عن أبي صالح، وعن أبي بكر الهذلي[(٣)]، وأيوب[(٤)] عن عكرمة، وعن سليمان التيمي[(٥)] عمن حدثه، ثلاثتهم عن ابن عباس.

---

(١) محمد بن كعب القرظي، نسبة إلى قريظة، عالم ثقة. ولد سنة أربعين، نزل الكوفة، ومات سنة عشرين ومائة.

(٢) عباد بن صهيب، قال البخاري والنسائي وأبو حاتم: متروك. وابن المديني: ذهب حديثه، وقال ابن حبان، يروي المناكير عن المشاهير، وقال أحمد: ما كان بصاحب كذب.

(٣) قيل اسمه: سلمى، وقيل: روح، ابن عبد الله، الأخباري، متروك الحديث، كما في التقريب. مات سنة سبع وستين ومائة، روى له ابن ماجه.

(٤) أيوب بن كيسان البصري. التابعي الصغير، قال فيه شعبة: أيوب سيد الفقهاء ما رأيت مثله. وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً حجة عدلاً جامعاً. ولد سنة أربع وستين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة.

(٥) سليمان بن بلال التيمي، مولاهم، أحد علماء البصرة. قال ابن سعد: كان بربرياً جميلاً حسن الهيئة، عاقلاً ثقة، كثير الحديث، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة.

وأوردها الطبري أيضاً من طريق العوفي[1] عن ابن عباس. ومعناهم كلهم في ذلك واحد.

[رأي ابن حجر في طرق القصة]

وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع. لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً.

مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح.

أحدهما: ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد[2] عن ابن شهاب: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[3]، فذكر نحوه.

والثاني: ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمر بن سليمان[4]، وحماد

---

(١) عطية بن سعد بن جنادة، الجدلي الكوفي، أبو الحسن، صدوق شيعي مدلس، يخطىء كثيراً. إلا أن الترمذي يحسن حديثه خصوصاً مع الشاهد. مات سنة إحدى عشرة ومائة. أخرج له أبو داود والنسائي والترمذي.

(٢) الحافظ، روى عن الزهري ونافع وغيرهما، وعنه: الليث وابن وهب وغيرهما مات بمصر سنة سبع وخمسين ومائة. روى له الجميع ووثقه الجمهور مطلقاً.

(٣) أبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، الثقة، أحد الفقهاء السبعة التابعي الكبير، كثير الحديث، من سادات قريش. ولد في خلافة عمر، ومات سنة ثلاث وتسعين.

(٤) ابن طرخان التيمي، الثقة الحافظ، البصري المتوفى بها سنة سبع وثمانين ومائة، روى له الستة.

ابن سلمة[١] كلاهما عن داود بن أبي هند[٢]، عن أبي العالية[٣].

قال الحافظ ابن حجر[٤]: وقد تجرأ ابن العربي[٥] ـ كعادته ـ فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها. وهو إطلاق مردود عليه.

وكذا قول القاضي عياض:

«هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته وانقطاع إسناده»

وكذا قوله: «ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية».

قال: «وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره، إلا

---

(١) حماد بن سلمة بن دينار المصري، أحد الأئمة الأثبات، العابد الزاهد الحافظ، مجاب الدعوة، احتج به مسلم والأربعة، والبخاري في التاريخ. مات سنة سبع وستين ومائة.

(٢) داود بن أبي هند القشيري، مولاهم، أبو بكر، أو أبو محمد، ثقة متقن أخرج له مسلم والأربعة مات سنة أربعين ومائة.

(٣) رفيع بن مهران الرياحي البصري، التابعي الكبير، أسلم بعد الوفاة النبوية بسنتين قيل فيه: ليس بعد الصحابة أعلم منه بالقرآن، مات سنة تسعين.

(٤) ما زال الكلام لابن حجر، وقد استمر النقل عنه حتى نهاية بحث الغرانيق. فتح الباري ٨/٤٣٩.

(٥) الحافظ المتبحر في العلوم، محمد بن عبد الله الاشبيلي المالكي، القاضي، أبو بكر، له التصانيف الحسنة والمناقب الجمة. توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير، مع الشك الذي وقع في وصله. وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه».

«ثم رده من طريق النظر: بأن ذلك لـو وقع لارتـد كثير ممن أسلم. قال: ولم ينقل ذلك». انتهى(١).

وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد:

فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلـك على أن لهـا أصلاً.

وقد ذكرنا أن ثلاثـة أسانيـد منها عـلى شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض.

وإذا تقرر ذلك: تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته.

[تأويل القصة]

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك:

● فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابتـه سنة، / وهـو ٢٩/ب
لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبري عن قتادة.

---

(١) انتهى كلام القاضي عياض كما نقله عنه فتح الباري.

ورده القاضي: عياض: بأنه لا يصح، لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه في النوم.

● وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره.

ورده ابن العربي بقوله تعالى، حكاية عن الشيطان: **﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾** الآية[1]، قال: فلو كان للشيطان قـوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة.

● وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك، فعلق بحفظه ﷺ فجرى ذلك على لسانه لما ذكرهم سهواً.

وقد رد ذلك القاضي عياض فأجاد.

● وقيل: لعله قال ذلك توبيخاً للكفار.

قال القاضي عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت جائزاً في الصلاة.

وإلى هذا نحا الباقلاني[2].

● وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: **﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾** خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام، فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: (لا تسمعوا لهذا

---

(١) سورة إبراهيم. الآية ٢٢.

(٢) القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب الباقلاني البصري ثم البغداي، الملقب بشيخ السنة ولسان الأمة، الأصولي الأشعري المالكي. انتهت إليه رياسة المـالكية في وقتـه، وكان حسن الفقـه عظيم الجـدل. توفي سنـة ثـلاث وأربعمائة.

القرآن والغوا فيه) ونسب ذلك إلى الشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك. أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.

● وقيل المراد بالغرانيق العلى، الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله، ويعبدونها، فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى**﴾ فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع، وقالوا: إنه عظم آلهتنا ورضوا بذلك، فنسخ الله تينك الكلمتين وأحكم آياته.

● وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمة النبي ﷺ بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله، وأشاعها.

قال[1]: وهذا أحسن الوجوه، ويؤيده ما ورد عن ابن عباس في تفسير «تمنى» بـ «تلا».

وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال: معنى قوله: في أمنيته، أي في تلاوته، فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله، إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي ﷺ، لا أن النبي ﷺ قاله.

وقد سبق إلى ذلك الطبري، مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر، فصوب هذا المعنى. انتهى[2].

---

(١) أي القاضي عياض.

(٢) انتهى كلام فتح الباري ٨/٤٣٩ ـ ٤٤٠.

أقول: كل هذا لا حاجة له بعد أن أبطلنا أصل القصة. انظر تعليقنا في أول الموضوع [المحقق].